التربية الجنسية في الإسلام

وقفات علمية مع آيات كريمة من كتاب الله

الدكتور عدنان الشريف

ـ قال تبارك اسمه وتعالى ذكره في سورة المائدة: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب، مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [سورة المائدة، الآية/ ١٥ ـ ١٦].

رسم الإسلام من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة العطرة منهاج حياة فريد به فقط يستطيع الفرد والعائلة والمجتمعات الإنسانية أن تخرج من ظلمات الضياع وتعاسة القلق إلى أنوار الحقيقة وطمأنينة السكينة، فالباحث المختصّ يجد في آيات الله الكريمة والأحاديث الشريفة نواة متكاملة لما يسمى بالتربية الجنسية، ذلك بأن الإسلام لم يترك جانباً من جوانب التربية أو النشأة إلا وتطرق إليه، والتربية الجنسية هي الجزء الأهم في التربية بمفهومها العام، لذلك وجدنا لزاماً علينا تبويبها وتبسيطها من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف وعلى ضوء الثوابت في العلوم النفسية والطبية كي تكون في متناول الآباء والمربّين، والله من وراء القصد.

والتربية الجنسية الإسلامية هي تثقيفية علمية من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تطرقت إلى أطوار الجنين، وهي وقائية علاجية من خلال الآيات الكريمة والأحاديث

الشريفة التي تطرقت إلى الزنى واللّواط والإجهاض والنكاح والطلاق وآداب السلوك الإسلامي بين مختلف أفراد العائلة.

ولن نستطيع في ساعة أو ساعات أن نلمّ بجميع جوانب التربية الجنسية في الإسلام، لذلك ستكون محاضرتنا اليوم مقصورة على وقفات علمية مع آيات كريمة في التربية الجنسية.

ثلاث عورات لكم

يقول تعالى في سورة النور: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن، طوافون عليكم بعضكم على بعض، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم. وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**﴾ [سورة النور، الآية/ ٥٨ ـ ٥٩] هذه الآيات الكريمة في آداب السلوك العائلي الإسلامي بوجوب استئذان الأبناء والخدم والموالي قبل الدخول على الوالدين عندما يكونان منفردين يجب فرضها وشرحها والتشديد على معانيها فقد كاد ينساها أكثرنا اليوم، ربما لأنهم لم يدركوا أبعادها الوقائية التي تمنع من الوقوع في كثير من الأمراض النفسية التي ترجع في أسبابها إلى عقد جنسية: فقد كشف التحليل النفسي أن كثيراً من العقد والانحرافات الجنسية كاللواط والسحاق والعجز والبرودة الجنسية وكثيراً من حالات الاغتصاب وحتى قتل ضحية الاغتصاب والتمثيل بها وكذلك الإعتداء بالضرب على الوالدين، كل هذه الأمراض النفسية والجنسية ترجع في جذورها إلى صدمات وجروح نفسية دفينة في العقل الباطن أو اللا شعور وبعضها بسبب مشاهدة الأولاد أو الخدم للزوجين في خلوة حميمة أو الاطلاع على عوراتهما (العورة أو السوءة عند الرجل هي ما كشف من جسده ما بين سرّته وركبتيه، وأما عورة المرأة فكل شيء عندها عورة ما عدا الوجه واليدين).

ـ وفي الأحاديث الشريفة التالية التي يجب أن تفهم أبعادها العلمية ليتقيد بها كل ربّ عائلة نجد أيضاً سبيلاً وقائياً يجنبنا كثيراً من الأمراض النفسية والجنسية:

«إحفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك» (البخاري).

«لو أن رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبيّ مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما وَنَفَسَهُما ما أفلح أبداً».

«الغلام لا يقبل المرأة إذا جاز سبع سنين».

«ولباس التقوى ذلك خير»

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون، يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾ [سورة الأعراف، الآية/ ٢٦ ـ ٢٧] وفي الحديث الشريف: «لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت».

إن كشف السوءة أو العورة هو من عمل الشيطان أما سترهما فهو تقوى وخير، ففي ذلك وقاية من الوقوع في كثير من الأمراض والعقد الجنسية والإنحرافات الجنسية المرضية وفي طليعتها الاغتصاب والزنى وممارسة العادة الجنسية. ونشدد هنا أن الأبناء والخدم لا يجب أن يظهروا على عورات آبائهم وقد نسي البعض هذه القاعدة فكم من الآباء والأمهات لا يتورعون اليوم من عدم ستر عوراتهم أمام أبنائهم بحجة أن هذا مسموح شرعاً...

ـ الأسباب النفسية للعقد والاضطرابات الجنسية ـ.

بصورة مبسطة جداً نختصر العوامل المسببة للعقد والاضطرابات الجنسية بالآتي:

في حسن سير العملية الجنسية يتدخل عاملان: عامل جسدي يلعب دوراً بسيطاً وعامل نفسي يلعب الدور الأكبر فمنذ الطفولة تتخزن عند الإنسان في مناطق محددة من دماغه الحيواني تصورات فكرية وأحاسيس متعلقة بالجنس والعملية الجنسية، من هذه التصورات، تصورات مُشوِشة مُمرضة تنشأ من مشاهدة الطفل أو الولد أو المراهق لوالديه في وضع حميم أو الاطلاع المستمر على عوراتهما. فالصبي وحتى سن المراهقة يعتبر والدته ملكاً له ووالده غريماً له في ملكيتها والعكس بالنسبة للبنت، وتنحسر هذه التصورات الفكرية الجنسية عن الوالدين والتي يعتبرها علماء النفس طبيعية مع البلوغ، أما عندما يشاهد الطفل أو الصبي والمراهق والديه في وضع حميم وتتكرر عنده هذه المشاهد، فعند ذلك تتحول هذه الصورة الجنسية إلى صورة جنسية مُمرضة مُجذرة في أعماق لا شعور ومتعارضة مع كل تصور صحيح للعلاقة الجنسية الشرعية، وما حالات الاغتصاب وتعذيب الضحية وقتلها والتمثيل بها ثم البكاء والشعور بالندم بعد ذلك إلا بتأثير وتصادم التصورات الجنسية القديمة الممرضة عن الوالدين، فالمغتصب كما كشف التحليل النفسي يسترد أمه المتمثلة بضحيته ويعاقبها لأنها خانته مع والده كما رأى ذلك خلال طفولته وهي أي والدته يومئذ في تصوراته الجنسية ملكاً له. هذه بصورة مبسطة بعض الأسباب النفسية التي تنشأ منها العقد

والاضطرابات الجنسية السلوكية، وإن كانت هناك أسباب عديدة أخرى لا يتسع المجال لذكرها هنا.

وقدموا لأنفسكم

ـ **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾** [سورة البقرة، الآية/ ٢٢٣].

الخطاب موجه هنا إلى الرجال وقليلاً ما توقف المفسرون عند الأبعاد الوقائية التي تجنب المرأة كثيراً من العقد النفسية، إذا طبق هذا الأمر الإلهي كما يجب من الرجل. وفي الحديث الشريف التالي ما يشرح قوله تعالى **﴿وقدموا لأنفسكم﴾** «إذا جامع أحدكم أهله فلا يأتهن كما يأتي الطير ليمكث وليلبث» (الطوسي)، فمن أسباب البرودةالجنسية عند المرأة وصولاً إلى رفض العلاقة الجنسية مع الزوج وما يتبع ذلك من آثار نفسية أهمها القلق النفسي عدم التقيد بهذه القاعدة القرآنية في العلاقة الجنسية التي تفرض على الرجل تقديم نفسه بأحسن صورة لحرثه من خلال الكلمةالحلوة والتزيّن والمداعبة اللطيفة االضرورية قبل الشروع في العملية الجنسية التي تقتصر عند البعض على الإيلاج في المرأة ومن دون أن يسبق ذلك أي تحضير نفسي وجسدي، مما يستدعي نفور المرأة من الجماع وبالتالي كره كل شيء يتعلق بالجنس.

﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ [سورة النور، الآية/ ٣١].

وكما أمر المولى الرجل بأن يقدم نفسه لامرأته بأحسن زينة جسدية وأخلاقية ونفسية، كذلك أمر المرأة بأن تتزين لزوجها، وذلك حتى تستقيم العلاقة الجنسية في مختلف مراحلها. وفي الحديث الشريف ما يشرح ويفصل ذلك «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»، «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور». وعن ابن عباس رضي الله عنه قوله: أنا أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي.

فكثير من حالات البرودة الجنسية والزنى والقلق النفسي هي نتيجة عدم الالتزام بهذه الأوامر القرآنية والنبوية في التربية الجنسية بين الزوجين.

«الإباحية الجنسية تكلف غالياً»

﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ [سورة الإسراء، الآية/ ٣٢].

إذا ظهر (بمعنى انتشر) الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله. وما ظهرت ـ (بمعنى ما انتشرت الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا بهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. (حديث شريف).

ـ «الحرية الجنسية تكلفنا غالياً كلمة مأثورة

قالها منذ سنوات أستاذ أمراض الدم والسرطان في إحدى كليات الطب في باريس الدكتور «جورج ماتي»، ومع أنه أيد قوله هذا بالأرقام والإحصاءات فلقد ثارت وسائل الإعلام حينئذ ضدّ هذا التصريح الذي اعتبره أنصار الحرية الجنسية مضرّاً بحريتهم المريضة والقاتلة... هذه بعض الأرقام عن الثمن الغالي الذي يدفعه أنصار الحرية الجنسية:

ينتقل بالعلاقات الجنسية الآثمة فقط أي غير الشرعية سبعون عارضاً ومرضاً جنسياً بعضها مؤذٍ والبعض الآخر خطير ومنها قاتل وكلها عذاب جسدي ونفسي للمصاب.

ـ آخر هذه الأمراض مرض «السيدا» أو «الإيدز» (اختصار لكلمات مرض قصور المناعة المكتسب) الذي بدأ منذ سنة ١٩٨١ ببعض حالات وانتهى اليوم بشكل وباء تفشى في عشرة ملايين حالة توفي منها حتى الآن ما يقرب من أربعمائة ألف حالة، علماً أن معالجة حالات الإيدز التي لا شفاء منها حتى الآن كلف ما يزيد عن عشرات المليارات من الدولارات... والمضحك المبكي أننا لم نسمع ولم نقرأ في كل ما حُوضر وكُتب عن مرض «السيدا» صوتاً يقول بصريح العبارة وعالياً بأن علاج هذا الوباء لا يكون إلا بالامتناع عن كل علاقة جنسية آثمة، وبدلاً عن ذلك ينصح القائمون على معالجة المرض باستعمال الواقي. وكان نصيب لبنان أخيراً من هذه الطريقة الوقائية من «السيدا» كمية محترمة قدرت بمليون ونصف مليون واقي وهبتنا إياها منظمة الصحة العالمية...؟؟؟

ليفتشوا عن علاج «للسيدا» وغيره من الأمراض الجنسية فكلّما وجدوا علاجاً سيرسل عليهم المولى داءً جديداً آخر؛ **﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾** وأمره تعالى معروف، **﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾**، **﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾**...

ـ يحصل سنوياً في العالم ما يقرب من ثمانين مليون حالة إجهاض إرادي ينتج عنها ما يزيد عن وفاة عشرة آلاف ضحية. والأرقام المعلنة أقل بكثير من الحقيقة الخفية.

ـ إن حالات سرطان عنق الرحم تزداد بنسبة ثلاث مرات عند اللواتي يمارسن الإباحية الجنسية ومع شركاء عدة عن الملتزمات شريك واحد.

في سنة ١٩٩٠ حصل كل ست دقائق في نيويورك حالة اغتصاب كان من نتيجتها المباشرة وفاة ٢٠٠٠ ضحية.

إن الأمراض النفسية هي الأعلى نسبة في المجتمعات غير الملتزمة إيمانياً، وفي طليعة مسببات الأمراض النفسية العقد الجنسية أما الإباحية الجنسية فلم تحل العقد الجنسية كما ادعى بعض علماء النفس بل هي السبب المباشر وغير المباشر في خلقها وتجذرها.